

هناك ما هو أسوأ من الموت في سوريا

وتقول الفنانة والمعلمة السورية فداء الوعر التي أخذت شقيقها محمد مختار البالغ من العمر 19 عاما عند حاجز أمني في حمص في العام 2012 إن العثور على صورته قضى على أمل الأسرة في رؤيته على قيد الحياة مرة أخرى.

وقالت الفنانة الشابة "أراه في أحلامي حيا وأنه سيرجع". وأضافت أن حزن الأسرة عليه تجدد عندما رأت الصورة لأنها كانت تأمل دائما أن يأتي اليوم الذي يطلق فيه سراحه.

وتعود فداء بذاكرتها إلى اليوم الذي توسلت فيه الأسرة لابنها الشاب إلا يذهب إلى المنطقة التي كان المظاهرون يحتجون فيها في المدينة على حكم الأسد في الأيام الأولى للانتفاضة والتي كانت قوات الأمن تلقي فيها القبض عشوائيا على الشبان عند الحواجز الأمنية.

وقالت فداء إن شقيقها بالنسبة للسلطات مجرد رقم موضوع على جبهته ولا شيء غير ذلك.

وبعد تسع سنوات من انطلاق شرارة الحرب التي سقط فيها أكثر من نصف مليون قتيل وأدت إلى تشريد ما يزيد على نصف سكان سوريا، استعادت حكومة الأسد في السنوات الأخيرة وبدعم من روسيا وإيران معظم الأراضي التي كانت في وقت من الأوقات تحت سيطرة مقاتلي المعارضة.

وأشارت المحامية سارة كيالي الخبيرة في الشأن السوري بمنظمة هيومن رايتس ووتش التي يوجد مقرها بالولايات المتحدة والتي أجرت دراسة عن الصور إلى أن هذه الصور تجعل من المستحيل إنكار استخدام التعذيب المنهج في نظام سجون الأمن السورية.

صور قيصر تتضمن سوريا لـ 6785 معتقلا معظمهم تعرض للتعذيب على أيدي السلطات في بداية الانتفاضة

وقالت كيالي في عمان "لقد أظهروا لنا دليلا لا يمكن دحضه على أن الحكومة السورية احتجزت وعذبت الآلاف الذين اختفوا، والذين كانت تنكر وجودهم، وأنها عذبتهم حتى الموت".

وتعرفت مريم الحلاق على صورة ابنها أيهم (25 عاما) الذي كان طالبا بالدراسات العليا في طب الأسنان عندما تعرض للاختطاف من حرم جامعة دمشق في نوفمبر 2012 لتنتهي بذلك سنوات الشك.

وقد أمضت أكثر من 17 شهرا وهي تدق ابواب كل الإدارات الحكومية بحثا عن شهادة وفاة لابنها. وقالت مريم في شقتها ببرلين "الحمد لله أنه مات في البداية ولم يتعرض للتجويع حتى يصبح هيكلا".

وأوضح زميل لابنها في الكلية اعتقل معه وتم الإفراج عنه في ما بعد أن أيهم تعرض للتعذيب لمدة ساعتين على الأقل قبل أن يفقد الوعي بعد أن تعرض للضرب على رأسه بفضيب معدني. وبعدها توقف التعذيب.

ولفظ أيهم أنفاسه الأخيرة بين ذراعي زميله بعد خمسة أيام من القبض عليه. وفي صور قيصر لجنته كان على جبهته ملصق يقول إن الجثة رقم 320 من مركز الاحتجاز رقم 215.

إدلب - تقول بعض العائلات السورية إنه من الأفضل لها أن تعرف الحقيقة وتحزن، غير أن عائلات أخرى تقول إن معرفة ما حدث أسوأ لها من الموت نفسه، بعد أن بدأ يتكشف ما حدث للمئات من الضحايا في غرف التعذيب السورية بفضل جهد جديد للتعريف على الجثث من عشرات الآلاف من الصور التي تم تهريبها من دمشق قبل سبع سنوات.

وبالنسبة لأسر هؤلاء الضحايا تمثل صورة لجثة تكسرت عظامها وعليها رقم نهاية رحلة البحث.

وعثرت أم منذر ياسين (58 عاما) على صورة ابنها جميل في الشهر الماضي بعد فحص عدد لا يحصى له من الصور لجثث مشوهة. وقالت إن الضحايا ماتوا "جوعى وعرايا".

ظل جميل مهندس الكمبيوتر مفقودا منذ إحدى ليالي يونيو 2011 عندما ألقى الشرطة السورية القبض عليه من شقة الأسرة في دمشق.

وفي الصورة التي اكتشفتها أمه كانت عيناه مفلوكتين وساقاه مكسورتين. قالت في عمان التي لجأت إليها هي وزوجها منذ فرارهما من سوريا في 2013 إنه "كان من الأفضل لابنها أن يموت برصاصة لو أنهم أطلقوا عليه النار بدلا من أن يعاني ما عاناه".

وقال زوجها الذي يعمل طبيبا "قتلونا مرتين" الأولى عند إلقاء القبض عليه والثانية عندما شاهدت الأسرة الصور. وتسأل الأب "ألسنا بشر؟".

كانت صورة جميل بين 53275 صورة هربها على أقراص من سوريا للخارج مصور سابق بالجيش السوري أطلق عليه الاسم الكودي قيصر وهرب من سوريا في أغسطس 2013. وكانت مهمته تتمثل في تسجيل حالات الوفاة في السجون العسكرية.

وقال بعض الأصدقاء إن قيصر يعيش مخفيا في بلد لم يتم الكشف عنه خوفا من التعرض للانتقام منه ومن عائلته. والآن وبعد سنوات من الاهتمام الذي أثارته صور قيصر عادت الأضواء لتسلط عليها من جديد. وسرى مفعول أشد عقوبات أميركية على سوريا في يونيو الماضي على ما قيل إنها جرائم حرب ارتكبت بحق السكان المدنيين وذلك بموجب قانون سمي باسم قيصر. ولم يعلق الرئيس بشار الأسد مباشرة على صور قيصر منذ مقابلة عام 2015 وصفها فيها بأنها ادعاءات بلا أدلة.

وتعتقد جماعات حقوقية أن صور قيصر تتضمن سوريا لعدد 6785 معتقلا معظمهم تعرض للتعذيب على أيدي السلطات السورية في الشهور الأولى من الانتفاضة التي تطورت إلى حرب أهلية أصبحت الآن في عاها التاسع. وقال فاضل عبدالغني رئيس الشبكة السورية لحقوق الإنسان ومقرها الدوحة إن حالة الجثث التي تعرض أصحابها للتعذيب والتشويه والتجويع تجعل من الصعب التعرف عليها. وتبين الشبكة أنها حددت هوية 900 ضحية حتى الآن.

ومع تجدد الاهتمام بدأ حقوقيون حملة جديدة لتحديد هويات القتلى. وكانت الأضواء سلطت على الصور للمرة الأولى في العام الذي هرب قيصر من سوريا، إلا أنه بعد فرض العقوبات تم نشر الصور من جديد على بعض منصات التواصل الاجتماعي الخاصة بالناشطين الأمر الذي منح الأسر فرصة جديدة لمعرفة مصير أحبائهم.



أين الدولة

لبنان الجريح يللم أشلاءه محصيا خسائره الثقيلة

بيروت في مواجهة فاتورة إعادة إعمار ضخمة

هنا والاقتصاد صفرًا". وانتهالت على البلاد على الفور عروض المساعدات الطبية والغذائية من دول عربية وغربية وغيرها. لكن لا شيء حتى الآن لعلاج التحديات الأكبر التي تواجهها دولة مفسلة.

وجاء الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إلى المدينة الخميس بشحنة مساعدات، ووعده باستعراض بعض "حقائق الداخل" مع الحكومة التي قال إن عليها استئصال شائقة الفساد وتنفيذ إصلاحات اقتصادية.

واستقبله في الشارع عدد كبير من اللبنانيين الذين طلبوا المساعدة في ضمان تغيير "النظام"، كي تتمكن مجموعة جديدة من الساسة من إعادة بناء بيروت ووضع البلاد على مسار جديد.

دمار كبير

لا تزال بيروت تحمل ندوب القصف العنيف في الحرب الأهلية التي دارت رحاها من عام 1975 إلى عام 1990. وبعد الانفجار أصبحت أجزاء منها تبدو مرة أخرى كأنها منطقة حرب. في موقع الانفجار، يخرق صوت الجرافات الهدوء وسط الدمار الكبير. هياكل سيارات وحاوليات في كل ناحية وصوب، وأكوام ركام وحديد وبضائع مبعثرة.

وتسبب الانفجار في تشريد نحو 300 ألف شخص من سكان العاصمة ممن تصدعت منازلهم أو تضررت بشدة، وفق محافظ بيروت مروان عيود. وقدّرت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) أن نحو مئة ألف طفل باتوا مشردين. وأوضح أن الضحايا الذين ماتوا يكون من بين الضحايا أطفال وأولئك الذين نجوا يعانون من الصدمة النفسية.

ويخيم الحزن على شوارع بيروت. ولا يتمكن الكثيرون من حبس دموعهم من شدة التأثر والحزن أثناء تجولهم أو قيادة سياراتهم. على شاشات التلفزة المحلية، تتحدث أمهات وزوجات وأصدقاء مفجوعون عن خسارة أحبائهم. فبينما كان اللبنانيون يتابعون بعجز انهيار الاقتصاد في بلدتهم ويعيشون تبعات الوضع الصعب الذي قاده وباء كوفيد - 19، أتى الانفجار ليشكل أكبر كوارث اللبنانيين.

والقى اللبنانيون بمسؤولية الانفجار إلى السلطة الحاكمة التي انتفضوا ضدها قبل أشهر مطالبين برحيلها. واندلعت ليلا مواجهات محدودة بين عشرات الشبان الغاضبين والقوى الأمنية وسط بيروت.

الكثير من موظفي الميناء. وقالت الوكالة الوطنية للإعلام إن السلطات اللبنانية أوقفت 16 شخصا في إطار التحقيقات.

موجات صدمة

يشكل الانفجار بالنسبة إلى الكثير من اللبنانيين عرضا من أعراض سنوات من الإهمال لترعرع فيها الفساد الحكومي. وقال المسؤولون إن الانفجار الذي أحدث تأثيرات سيزمية امتدت لمئات الأسيال تسبب في خسائر قد تصل قيمتها إلى 15 مليار دولار، وهي فاتورة تخور أمامها قوى دولة تخلخت بالفعل عن سداد ديونها الوطنية التي تتجاوز قيمتها 150 في المئة من الناتج الاقتصادي، في الوقت الذي توقفت فيه المحادثات لم شرياني حياة من صندوق النقد الدولي.

ولحقت أضرار جسيمة بعدد كبير من المستشفيات بفعل موجات الصدمة التي دمرت النوافذ وهدمت الأسقف، في الوقت الذي وجدت فيه نفسها في مواجهة ما لا طاقة لها به أمام أعداد الضحايا. وكان الكثير منها يجد بالفعل صعوبات في تدبير ما يكفي من العمالات الأجنبية لشراء ما يلزمه من إمدادات قبل الانفجار. وفي منطقة الميناء، وضعت فرق الإنقاذ المصابيح للعمل طوال الليل في جهد محموم للعثور على من لا يزالون في قوائم المفقودين، بينما تنتظر العائلات بلهفة ويلاشئ الأمل ببطء في رؤية الأحبة مرة أخرى. وقدّفت القوة التفجيرية ببعض الضحايا في البحر.

كانت إحدى الأمهات تبكي في اتصال ببرنامج تلفزيوني في وقت الزفرة مساء الخميس وتتوسل للسلطات أن تعثر على ابنها. وعثر عليه -ميثا- بعد ساعات. وقال الأمين العام للصليب الأحمر اللبناني جورج كنانة لإذاعة "صوت كل لبنان" إنه تم العثور على ثلاث جثث أخرى في أعمال البحث والتنقيب، فيما قال وزير الصحة الجمعة إن عدد القتلى زاد إلى 154. وما زال العشرات في عداد المفقودين حتى الآن.

وعرض شربل عبريني، الذي كان يدرّب موظفي المرفأ، صورا على هاتفه لزملاء راحوا في الانفجار. كان عبريني يجلس في كنيسة عندما طار رأس تمثال السيدة مريم العذراء على وقع الانفجار. وقال الرجل البالغ من العمر 62 عاما والذي دمر الانفجار منزله "أعرف 30 موظفا في الميناء لقوا حتفهم، اثنان منهم من أصدقائي المقربين وثالث مفقود". وقال الرجل الذي كانت على ذقنه ضمادة "ما من مكان لي أذهب إليه سوى أسرة زوجتي... كيف يمكن البقاء

لم يستغرق لبنان بعد من هول التفجير الضخم الذي ضرب الثلاثاء مرفأ، المرفق الحيوي الذي تعتمد عليه البلاد لاستيراد الجزء الأكبر من احتياجاتها الأساسية، وسط صدمة وحزن كبيرين يجتاحان الشارع اللبناني الذي نفذ صبره على سياسات الدولة الفاشلة، محملا الطبقة الحاكمة مسؤولية الانفجار والأزمات التي تحاصر البلد من كل ناحية وصوب.

كان بعض أفراد الحشد الصغير يرمون الحجارة وكان التجمع مؤشرا على عودة الاحتجاجات التي أصبحت سمة من سمات الحياة في بيروت، بعدما وقف اللبنانيون شهودا على انهيار عملتهم وتخرس مدخراتهم، فيما تمر عملية صنع القرار الحكومي بخاض عسير.

وقال طوني عبده الذي يبلغ عمره 60 سنة ولا يعمل "لا سبيل لإعادة بناء هذا البيت. أين الدولة؟"، قالها وهو جالس في منزل العائلة بمنطقة الجميزة التي تبعد بضع مئات من الأمتار عن مستودعات المرفأ التي ظلت تخزن مواد شديدة الانفجار لسنوات كأنها قبلة موقوتة في جوار منطقة مكتظة بالسكان.

وبينما كان ينطق بهذه الكلمات، سقطت غلاية مياه صغيرة ونفذت عبر سقف منزله المتصدع، فيما خرج متطوعون من الحي إلى الشارع لإزاحة الانتفاض.

وقال نسيم أبيض وهو سائق سيارة أجرة عمره 60 عاما تحطمت عربته تحت ركام متساقط من إحدى البنايات بينما كان يهيم بركوبها "هل لدينا حكومة حقا؟". وأضاف "لم تعد لدي وسيلة اعراض منها".

ووعدت الحكومة بإجراء تحقيق شامل وفرضت الإقامة الجبرية على جريح.

بيروت - بدأ سكان بيروت، الجمعة، للمة أشلاء حياتهم التي تميزت بفعل أكبر انفجار في تاريخ العاصمة اللبنانية.. ذلك الذي حطم المدينة وأودى بحياة 154 شخصا على الأقل وترك الأمة المقلقة بالديون في مواجهة فاتورة إعادة إعمار ضخمة.

وتصاعدت وتيرة جهود البحث عن المفقودين منذ الانفجار يوم الثلاثاء، ونقب رجال الإنقاذ وسط الانتفاض في سياق محموم مع الزمن للعثور على أي إنسان لا يزال على قيد الحياة بعد أن دمر الانفجار مساحات شاسعة من المدينة وأرسل موجات صدمة في أنحاء المنطقة.



وأطلقت قوات الأمن الغاز المسيل للدموع على حشد غاضب في ساعة متأخرة من مساء الخميس مع احتدام متشاعر السخط إزاء الحكومة وتجاه نخبة سياسية تقود أمة كانت تواجه شبح الانهيار الاقتصادي حتى قبل وقوع انفجار المرفأ الذي أسفر عن 5000 جريح.



قتلونا مرتين